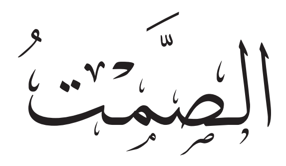


الصَّمْتُ

فضيلة الشيخ

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

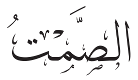



الصمت









الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م

رقم الإيداع

2024/0000

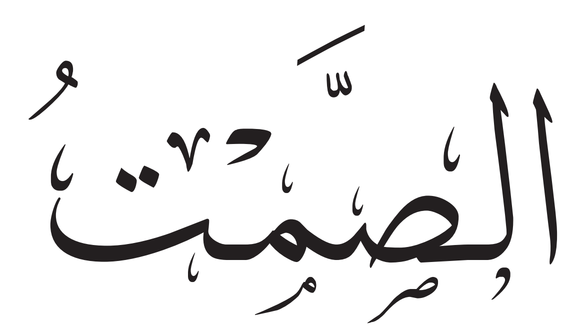
الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-000-0





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣٠٢+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٣٠٢+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com





إعداد

فضيلة الشيخ

مسعد بن حسين بن محمد الجعلي

عضو باتحاد الكتاب المسلمين
ومؤلف برابطة العالم الإسلامي






بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فاعلم - حفظني الله وإياك - أن الصمت فضيلة، وهو نوع من أنواع التواصل غير اللفظي البليغ، فكما يُقال: هناك كلام لا يقول شيئًا وهناك صمت يقول كل شيء؛ ولذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

وهذا الكتاب [**الصمت**] بينت فيه بفضل الله عَزَّوَجَلَّ معنى الصمت، والفرق بينه وبين السكوت، وكذلك بينت فضائل

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٧٥]، ومسلم [٤٧].



الصمت، وشروط الكلام وآدابه، وصور ونماذج من جهاد الصالحين للسان، سائلاً الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه
مسعد بن حسين بن محمد الجعلي
المصري السلفي
زهراء الحدائق - كفر الدوار - البحيرة



معنى الصِّمْتُ

الصمت: هو إمساكٌ عن قول الباطل دون الحق، و هو دليل على الإيمان، وفيه النجاة للعبد في الدنيا والآخرة.

الفرقُ بين السكوت والصمت:

هناك فرق بين السكوت والصمت من وجوه ثلاثة:

- **منها:** أن السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت، فإن القُدرة على التكلم غير مُعتبرة فيه.
- **ومنها:** أن الصمت يُراعي فيه الطولُ النسبي، فمن ضم شفتيه آنا يكون ساكتًا ولا يكون صامتًا إلا إذا طالت مُدةُ الصمت.
- **ومنها:** أن السكوت: إمساكٌ عن الكلام حقًا كان أو باطلًا، أما الصمت فهو إمساكٌ عن قول الباطل دون الحق[1].

---

(١) «نضرة النعيم»: (٧/ ٢٦٣٤).

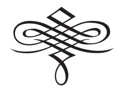


من لزم الصمت اكتسى هيبة

تخفى على الناس مساويه

لسان من يعقل في قلبه

وقلب من يجهل في فيه







فضائل الصمت



للصمت فوائد عظيمة، ومقاصد جليلة:

❁ **منها: أنه طريق النجاة:**

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»(١).

وعن عُقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان على «الصفا» يُلبي ويقول: «يا لسان، قُل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم».

(١) **صحيح**: رواه الترمذي [١٢٣٤]، والطبراني [٢٢٢٥]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٥٣٦].
(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [١٣١٥]، وصح صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٨٩٠].



فقيل له: أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته؟

فقال: بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»**[(١)].

قال الشافعي:

احــذر لسانك أيها الإنسان
لا يلدغنك إنه ثعبان
والله إن الموت زلةُ لفظة
فيه الهوان وكله خسران
كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الأقران

ومنها: أنه دليل على الإيمان:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[(٢)].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني [١٣٢٤]، والبيهقي [١٢٤٧]، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيح» برقم: .[٥٣٤].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠١٩]، ومسلم [٤٨].

❁ **ومنها: أن الصمت سبب للوقاية من النار:**

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**».

قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ – ١٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟».

قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ.

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ(١) أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(٢).

ومنها: أنه طريق إلى الجنة:

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ(٣) وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ(٤) أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»(٥).

---

(١) **ثكلتك**: أي: فقدتك أمك بهلاكك.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٤٥١٣]، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع» برقم [١٢٧٣].

(٣) **لحييه**: هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان.

(٤) **وما بين رجليه**: أي فرجه.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٧٤].



قال ابن بطال: «دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانهُ وفرجه، فمن وقُي شرهما وقُي أعظم الشر»[١].

فإن شئت أن تحيا ودينك سالمٌ

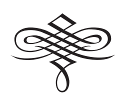
وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة مؤمن

فكلك عورات وللناس ألسن

وإن عينك أبدت إليك مساوئًا

فصنها وقل يا عين للناس أعين



(١) «فتح الباري»: (١١/ ٣١٦) للحافظ ابن حجر.



شروط الكلام



اعلم أخي الكريم أن للكلام شروطًا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يَعْرَى من النقص إلا بعد أن يستوفيها وهذه الشروط أربعة:

أولها: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر.

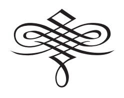
ثانيها: اختيار اللفظ الذي يتكلم به؛ لأن اللسان عنوان الإنسان، يُترجم عن مجهُوله، ويُبرهن عن محصوله، فيلزمُ أن يكون بتهذيب ألفاظه حَرِيًّا وبتقويم لسانه مَليًّا».

ثالثها: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فُرصته؛ لأن الكلام في غير حِينه لا يقعُ موقع الانتفاع به.





رابعها: أن يقتصر منه على قدر حاجته، فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يُقدر بالكفاية، لم يكن لحَدِّه غاية، ولا لقدره نهاية، وما لم يكن من الكلام محظورًا كان إما حصرًا إِن قصُرَ، أو هذرًا إِن كَثُر[1].



(١) «أدب الدنيا والدين»: ص: (٣٣٨ – ٣٤٣) لابن أبي الدنيا.



آداب الكلام

قال أبو الحسن الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن للكلام آدابًا إن أغفلها المتكلمُ أذهب رونق كلامه، وطمس بهجة بيانه، ولها الناسُ عن محاسن فضله، بمساوئ أدبه، فعدلوا عن مناقبه بذكر مثالبه».

كذلك من آداب الكلام: أن لا يتجاوز في مدح، ولا يُسرف في ذمٍّ وإن كانت النزاهَةُ عن الذم كرمًا، والتجاوزُ في المدح ملقًا يصدُرُ عن مهانة. والسرفُ في الذمِّ انتقامًا يصدُر عن شر، وكلاهما شينٌ، وإن سلم من الكذب.

إنما العاقل من ... ألجم فَاهُ بلجام
لُذْ[1] بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

وقال آخر:

عود لسانك قلة اللفظ ... واحفظ كلامك أيما حفظ
إياك أن تعظ الرجال وقد ... أصبحت محتاجًا إلى الوعظ

(١) لُذْ: الجأ وتحصَّن.





صور من جهاد اللسان



علم الصالحون خطورة اللسان، وما يترتب على ما يَخرُجُ منه من ثواب أو عقاب، فجاهدوا ألسنتهم جهاد الأبرار، وكفوا ألسنتهم عن كل كلام محرم.

وهذه بعض الصور والنماذج من أحوالهم مع هذا اللسان.

كان **أبو بكر الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضعُ حصاة في فيه، يمنعُ بها نفسه عن الكلام، وكان يُشير إلى لسانه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد»[١].

وكان **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «من كُثر كلامه كثُر سقطه، ومن كثر سقطه كثُرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»[٢].

(١) «إحياء علوم الدين»: (٣/ ١٢٠) للغزالي.
(٢) المصدر السابق: (٣/ ١٢١).





وكان **أبو الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «أنصف أُذنيك من فيك، إنما جعل لك أُذنان ولسان واحد حتى تسمع أكثر مما تتكلم»(١).

وكان **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «والله الذي لا إله إلا هو ما شيءٌ أحوج إلى طُول سجن من اللسان»(٢).

وكان **طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ يتعذر من طول السكوت ويقول: إني جربتُ لساني فوجدتُه لئيمًا»(٣).

وقال حَرْمَلة: «سمعتُ ابن وهب يقول: نذرتُ أني كُلما اغتبتُ إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنتُ أغتاب وأصوم، فنويتُ أني كلما اغتبت إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حُبِّ الدراهم تركتُ الغيبة!»(٤).

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله
إذا كنت فارغًا مستريحًا

---

(١) «إحياء علوم الدين»: (٣/ ١٢٢) للغزالي.
(٢) المصدر السابق: (٣/ ١٢٤).
(٣) «سير أعلام النبلاء»: (٩/ ٤٣٤) للإمام الذهبي.
(٤) المصدر السابق: (١٠/ ٤٧٢).



وإذا ما هممت بالنطق بالباطل
فاجعل مكانه تسبيحًا

فاغتنام السكوت أفضل من
خوضٍ وإن كنت بالكلام فصيحًا

وقال إبراهيم الحربي: «ما أخرجت بغداد أتم عقلًا من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كُل شَعْرَةٍ منه عَقْل، وطئ الناس عَقِبه خمسين سنة، ما عُرِف له غيبةٌ لمسلم، ما رأيت أفضل منه»(١).

وقال يمان بن عديٍّ: «كان عبد الله بن أبي زكريا عابد أهل الشام، يقول: «ما عالجتُ من العبادة شيئًا أشد من السكوت»(٢).

وقال مورق العِجْليّ: «تعلمتُ الصمت في عشر سنين، وما قلتُ شيئًا قط إذا غضبت أندم عليه إذا زال غضبي!»(٣).

وقال بعض السلف: «الزم الصمت تُعدُ في عقلك فاضلًا، وفي

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (٩/ ٢٢٨) للإمام الذهبي.
(٢) المصدر السابق: (٥/ ٢٨٦).
(٣) نفس المصدر السابق: (٤/ ٣٥٤).



خُلُقِك عاقلًا، وفي قدرك حكيمًا، وفي عَجِزك حليمًا، وإياك وفضول الكلام، فإنه يظهر من عيوبك ما بطن».

وقال بعضهم: «كلامُ المرء بيان فضله، وتُرجُمان عقله، فاقتصر منه على القليل، واختصر منه على الجميل، وإياك وما تسخط به سُلطانك، وتغضب به إخوانك..».

وقال بعضهم: «من لزم شأنه، وحفظ لسانه، وأعرض عما لا يُعنيه، وكف عن عِرْضِ أخيه، دامت سلامته وقلت ندامتهُ».

وقال بعضهم: «الصمتُ أفضل ثمرة العقل، وزين العلم، وعون الحِلْم، فالزَمْهُ يُلْزِمك السلامة، واصحَبْه تصحبك الكرامة».

وما أجمل ما أنشدهُ عبد الله بن المبارك حين قال:

جربت نفسي فما وجدت لها
من بعد تقوى الإله كالأدب
في كل حالاتها وإن كرهت
أفضل من صمتها عن الكذب





أو غيبة الناس إن غِبتهم

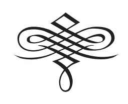
حرمها ذو الجلال في الكُتب

قلت لها طائعًا وأُكرهها

الحلم والعلم زينُ ذى الحسب

إن كان من فضّةٍ كلامك يا

نفس فإن السكوت من ذهب







الفَهرِس

